الرؤية الحضارية في دراسة السيرة النبوية

عند عبد الحليم عويس

أ.د. مسعود فلوسي

جامعة الحاج لخضر

- باتنة -

إن الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس رحمه الله، الذي تخصص في دراسة التاريخ الإسلامي وكتب فيه رسالتيه اللتين نال بهما الماجستير والدكتوراه، إضافة إلى عدة دراسات تاريخية أخرى بين موجزة وموسعة، لم يكن مجرد مؤرخ يرصد الأحداث ويعمل على ترتيبها ويحرص على إثبات مدى صدقها أو عدمه، وإنما أضاف إلى ذلك بعدا آخر قليلا ما اهتم به الباحثون في التاريخ الإسلامي، ألا وهو تحليل الأحداث وتفسيرها وبيان أسبابها ونتائجها من وجهة نظر إسلامية خالصة تعتمد مقاييس القرآن والسنة في التحليل والتفسير.

في هذا الإطار يأتي إسهام الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس رحمه الله في حقل السيرة النبوية، وهو إسهام تميز برؤية متفردة يمكن أن نطلق عليها الرؤية الحضارية الإسلامية في دراسة السيرة النبوية، وهي رؤية كلية تنظر إلى سيرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم باعتبارها كلا متكاملا وليس مجرد أحداث جزئية متفرقة، إنها رؤية ترصد البعد الحضاري في السيرة، باعتبار أن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إنما كانت تهدف إلى صنع

حضارة جديدة متفردة بخصائصها، تبدأ بتربية الفرد، ثم بناء الدولة، لتنتهي بإقامة حضارة متكاملة يعم خيرها الناس جميعا وتشمل برحمتها وإنسانيتها البشرية جمعاء.

"في ظلال الرسول".. دراسة مبكرة ورؤية واضحة:

من الدراسات المبكرة للدكتور عبد الحليم عويس؛ كتابه الموجز المتميز الذي كتبه عن السيرة النبوية بعنوان "في ظلال الرسول صلى الله عليه وسلم"، ظهر هذا الكتاب سنة **1980** عن دار الاعتصام في القاهرة، في مائتي صفحة من الحجم المتوسط، ولم يُطبع مرة أخرى بعد ذلك، وهو أمر غريب، لأن كثيرا من كتب المؤلف رحمه الله طبعت عدة مرات، بينما لم يطبع هذا الكتاب سوى مرة واحدة.

على كل حال، لقد تناول عبد الحليم عويس السيرة النبوية في هذا الكتاب بأسلوب مختلف، وبعناوين غير مسبوقة، مما يدل على أن الرجل كانت له رؤيته المتميزة التي انفرد بها عن غيره.

بدأ المؤلف كتابه بإهداء خاص "إلى محمد بن عبد الله خاتم المرسلين وإمام حضارة المسلمين"، معتبرا صفحات هذا الكتاب "مجرد معايشة عصرية للنبي الكريم الذي أرسى للبشرية ـ من خلال بنائه للإنسان والدولة والحضارة ـ قواعد الحق والخير والجمال، في أروع تناسق وانسجام عرفهما التاريخ".

إن هذا الإهداء يكشف من البداية الرؤية التي ينطلق منها المؤلف في دراسة سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، ألا وهي الرؤية الحضارية المشبعة بتعاليم القرآن والسنة.

هذه الرؤية نجدها تتجلى بعد ذلك في كل فصل من فصول الكتاب، إن لم نقل في كل صفحة من صفحاته.

في مقدمة الكتاب التي أبى المؤلف إلا أن يضع لها عنوانا خاصا بها، على غير عادة المؤلفين في مقدمات الكتب، وهذا العنوان هو "سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بين المنهج والمذهب" [ص: 9]، في هذه المقدمة توجه المؤلف بالنقد إلى عدد من المناهج المنحرفة في كتابة السيرة:

أولها؛ ذلك المنهج الذي يقوم على إخضاع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحداث حياته لمفاهيم المؤلف وبيئته وخيالاته وأهوائه، لا للحقائق التاريخية الموثوقة، وهذا نهج جمهرة المستشرقين الذين كان «أكبر همهم أن يخضعوا الرسول صلى الله عليه وسلم لبيئاتهم وأمزجتهم وأهداف مؤسساتهم التبشيرية والسياسية"[ص: 12].

وثاني هذه المناهج؛ منهج "بعض تلامذة الاستشراق وسدنة الدين العقلي الذي يريد تجريد الرسالة والرسول من الجانب الغيبي، وتحويلهما - باسم مقاييس العلم - إلى ظاهرة تحتية - وليست فوقية - تخضع للناموس العادي، ويمكن تحليلها كما يمكن تحليل كل ظاهرة طبيعية من ظواهر الكون الملموسة... فالنبي عليه الصلاة والسلام - في نظر هؤلاء - عبقري.

والمعجزات النبوية ـ ما عدا القرآن ـ ملغاة، وظاهرة الوحي ظاهرة نفسية أو تليباثية.. وهلم جرا" [ص: 14].

والمنهج الثالث، وهو أخطرها؛ "ذلك المنهج الأعور المنحرف الذي يريد استنطاق السيرة الزكية غير ما تنطق به، وفرْض مواقف في ظروف محدودة على القاعدة الحياتية كلها. وعلى رأس هؤلاء المنحرفين المزورين؛ جماعة الاشتراكيين والشيوعيين اليساريين الذين ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم على أنه مصلح اجتماعي، أو قائد ثورة، أو محرر للعبيد، أو نصير للفقراء ضد الأغنياء" [ص: 15].وبعد أن يكشف المؤلف عوار هذه المناهج كلها، ويفضح ما يهدف إليه أصحابها، ينتهي إلى بيان المنهج الأمثل في دراسة السيرة النبوية، وهو المنهج الذي "يتلخص في ضرورة التجرد النزيه وانفساح الصدر على الحقيقة وتلمسها، والرغبة الصادقة في الوصول إليها والتأثر بها، والرجوع ـ بعد ذلك ـ إلى المصادر الأصلية للسيرة النبوية، بدءا من القرآن الكريم، فالسنة الشريفة الصحيحة، فكتب السيرة والمغازي المعتمدة لدى علماء الإسلام، ثم ترك الحقيقة تعلن عن نفسها" [ص: 16].

بعد هذه المقدمة، يأتي الفصل الأول بعنوان "عالم القرن السادس الميلادي بين الشيوعية والانحلالية"، وفيه يتحدث المؤلف بنظرة عصرية عن واقع العالم في القرن الذي شهد مولد النبي عليه الصلاة والسلام وظهور رسالته، ذلك العصر الذي شهد سيطرة قوتين كبيرتين؛ إحداهما "فارس" التي كانت "تمثل المادية الجاهلية، بكل الفوضوية العقائدية والفكرية والخلقية التي امتاز بها اللادينيون على امتداد التاريخ" [ص: 19]. والثانية "بقايا

حضارة هيلينية ورومانية ورثت التراث الرجعي الإغريقي في أثينا سقراط وأرسطو وأفلاطون" [ص: 23].. وفي مقابل ما كان عليه هذا العالمان الفاسدان المنحرفان، في مطلع القرن السادس ومطلع القرن السابع، ﴿كان العرب يمثلون في الحقيقة إنسانا متميزا بين هاتين الحضارتين.. كان الإنسان العربي أقرب إلى الخير في جوانب تهم طبيعة الدعوة الإسلامية كرسالة تتطلب نفوسا أقرب إلى الفطرة وقوانين الأخلاق. كانوا يمتازون بالشجاعة... وكانوا يمتازون بالنجدة والإباء والكرم وحفظ الأعراض وحماية المستجير والبساطة ووضوح الفكر وسلامة الطوية وبكثير من الفضائل البدوية الفطرية" ًص: 25-26]. إلا أنهم "من جانب آخر، وعلى ما في الأضداد من غرابة، كانوا يتصفون بسفك الدماء وحقنها، وباعتقاد الخرافات وردها، وبالإيمان والإلحاد"، واجتماع الصفات المتضادة في نفس الإنسان العربي بهذه الصورة، ليس ـ في نظر المؤلف ـ سوى "صورة حقيقية مجسمة للرجل الفطري الذي لا تسيره عقيدة محددة، ولا قانون ضابط، ولا أخلاق جضارية معينة.. وحكاية عبادتهم للصنم، فإذا ما جاعوا أكلوه أو استخدموه في أغراض تافهة خير دليل على ذلك" [ص: 26].ويلخص المؤلف حال الجزيرة العربية في ذلك العصر، وفق رؤيته الحضارية، فيقول: "لقد ساد الضياع الفكري والظلام العقدي شبه الجزيرة العربية على امتداد أركانها عبر تلك القرون التي سبقت البعثة" [ص: 31]، لكن ذلك لا يعني الموت المطبق والانهيار الشامل، لقد كان هناك بصيص من نور مثله أولئك القلة الحنفاء الذين لم يعجبهم ما آل إليه حال أقوامهم، فاعتزلوا يبحثون عن الحق ويتطلعون إلى معرفته واعتناقه، وفي ذلك يقول المؤلف: "لم يكن تراب

الجاهلية مستسلما لخدر الضياع كل الاستسلام، راضيا كل الرضا عن هذا الهمود المنحرف الذي يسود الحياة في الجزيرة العربية... وتؤكد لنا قصص الحنفاء الباحثين عن دين حق، تلك التي برزت في غير واقعة من وقائع جاهلية الجزيرة العربية الأولى، تؤكد لنا هذه القصص في مضمونها الأخير حالة عدم الرضا الذي كان يقبع خلف تراب الجزيرة الذي كان يبدو هادئا.. كما تصور لنا هذه القصص مدى القلق والتيه النفسي والفكري الذي كان يهيمن على العقلاء في أرجاء الجزيرة" [ص: 33]، "ويعتبر ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل قمة الشعور بالمأساة؛ مأساة الفراغ والضياع والتيه التي سادت الجزيرة العربية وسادت العالم كله في ظل إشعاعات الحضارتين المنهارتين: الشيوعية الفارسية والانحلالية الرومانية" [ص: 35].

ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى الحديث في فصل ثان عن "حياة محمد صلى الله عليه وسلم في الجاهلية"، حيث يذكر ما هو معروف من أنه عليه الصلاة والسلام ولد في مكة ونشأ فيها، "نشأ أميا، وعاش أميا، بين قوم أميين مجردين من أي رصيد ثقافي أو أية خلفية حضارية مؤثرة"، ويؤكد المؤلف أن أمية النبي صلى الله عليه وسلم "وظهوره بين قوم مغرقين في الأمية؛ حكمتان من حكم الله سبحانه وتعالى، حتى تكون معجزة النبوة والشريعة الإسلامية واضحة في الأذهان لا لبس بينها وبين الدعوات البشرية المختلقة" [ص: 39].ويبرزالمؤلف تميز حياة النبي صلى الله عليه وسلم ووضوحها في هذه المرحلة من حياته، من خلال ما مر به عليه الصلاة والسلام من أطوار وما

قام به من أعمال وما عرف به من أخلاق حنيفية عالية شهد له بها الأقربون والأبعدون.

الفصل الثالث جاء بعنوان "محمد بن عبد الله نبيا ورسولا"، حلل المؤلف في بدايته ظاهرة الوحي باعتبارها حقيقة ثابتة لا غبار عليها، ورد على العلمانيين وأشباههم ممن يرفضون الوحي جملة وتفصيلا ويرون فيه "ظاهرة تحتية، تخضع لتطور نفسي وروحي معين، ويمكن الوصول إليها عبر تدريبات معينة" [ص: 59]. وقد استدل المؤلف على حقيقة الوحي وكونه ظاهرة واقعية من خلال القرآن الكريم الذي "يحمل دليل إلهيته معه، ويحمل معه دليل نبوة الموحى به إليه" [ص: 62]. هذا إضافة إلى الصدق المطلق الذي عرف به محمد صلى الله عليه وسلم حتى لم يستطع أحد من أعدائه أن يطعن فيه من هذا الجانب. وصدقه عليه الصلاة والسلام "يتكامل مع أمانته، مع كرمه، مع مروءته، مع وفائه، فكأن الأخلاق والعظمة اجتمعتا وجُسدتا فيه" [ص: 66]. وكذا الجيل الفريد الذي أنشأه ورباه وخرجه والذي لم تشهد البشرية له مثيلا في تاريخها الطويل.

يأتي بعد ذلك الفصل الرابع وهو بعنوان "محمد صلى الله عليه وسلم يبني الفرد"، حيث يرى المؤلف أن البداية في ذلك تمثلت بأول نداء ألقي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى: "اقرأ"، هذا النداء الذي كان الغرض منه "بناء الفرد الأمثل القائد المخاطب بكلمة اقرأ، وبناء الأفراد الآخرين المرشحين لحمل الدعوة وبناء الدولة والحضارة عن طريق فكر هذا الفرد النبي وسلوكه" [ص: 71].ويتحدث المؤلف كيف بدأ النبي صلى الله

عليه وسلم في تربية الأفراد وتكوينهم لحمل الدعوة من خلال الدعوة السرية أولا، والتي لم تشهد خلال ثلاث سنوات سوى إسلام خمسين فردا، معظمهم كانوا من المقربين الذين صدقوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وآمنوا به. ثم جاءت بعد ذلك الدعوة الجهرية التي امتدت عشر سنوات لقي خلالها النبي صلى الله عليه وسلم والأفراد القليلون الذين اتبعوه من صنوف الأذى ما تنوء بحمله الجبال، مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فرارا بدينهم وحماية لهم من الانهيار تحت صنوف التعذيب والإرهاب الفكري والنفسي والجسدي التي سلطت عليهم. ويبرز المؤلف بالعرض والتحليل الوسائل التي استخدمها المشركون في مقاومتهم للإسلام والمسلمين، والتي "هي الوسائل التي يلجأ إليها الباطل في معاركه مع الحق.. إنها وسائل الترغيب الاقتصادي والاجتماعي، والاعتماد على أعراف وتقاليد متحجرة لحجب العيون عن أن ترى الحق، والتنكيل والتعذيب عند الإفلاس وعند الشعور بتفوق الحق" [ص: 79]، وفصل المؤلف القول في هذه الوسائل وشواهدها من السيرة النبوية، وهي تسعة متمثلة في: إسقاط الحماية عن الرسول صلى الله عليه وسلم بمحاولات الإيقاع بينه وبين عمه أبي طالب [ص: 80]، التصفية الجسدية للمسلمين [ص: 81]، الحرب النفسية، وحرب الغوغاء والرعاع [ص: 82]، الإغراء المادي [ص: 83]، التحدي المادي بطلب المعجزات الحسية والسؤال عن أمور غيبية [ص: 84]، حرب الإعلام والتشويش الفكري [ص: 85]، المقاطعة [87]، القتل [90]. ويعتبر المؤلف أن نجاة النبي صلى الله عليه وسلم من القتل ليلة الهجرة، مثلت بداية مرحلة جديدة في حياته عليه الصلاة والسلام وحياة الدعوة الإسلامية،

هي مرحلة بناء الدولة بعد بناء الفرد، لهذا جاء الفصل الخامس بعد ذلك مباشرة بعنوان «محمد صلى الله عليه وسلم يبني الدولة".ويرى المؤلف في هذا الصدد أن تفكير النبي صلى الله عليه وسلم في إنشاء دولة إنما بدأ عمليا بعد ما عاناه مع المسلمين في شعب أبي طالب خلال فترة المقاطعة الاقتصادية التي أعلنها عليهم المشركون، وذاقوا بسببها ويلات الجوع والعري وصنوف المعاناة، وكذلك بعد وفاة درعي الدعوة القويين أبي طالب وخديجة رضي الله عنها، حيث لم يعد النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بمنأى عن الاضطهاد اليومي. ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل، علَّ واحدة منها تأخذه إلى أرضها وتحمي المسلمين المضطهدين، ولم تنجح محاولاته الكثيرة عليه الصلاة والسلام، وكانت قمة المأساة تلك التي حصلت له في الطائف مع خادمه زيد بن حارثة، حيث سُلط عليهما الأذى والاضطهاد. وظل الأمر كذلك حتى أذن الله عز وجل بأن يقبل أهل يثرب باستقبال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مدينتهم، فكانت الهجرة التي مثلت نقطة انطلاق الدولة الإسلامية ومبدأ بنائها، ويعتبر المؤلف "بيعة العقبة الثانية أبرز وأسمى عقد اجتماعي في تاريخ البشرية.. عقد قام في ظل منظومة ثلاثية فانبثقت عنه دولة الإسلام الفتية القوية الدعائم". ويعني المؤلف بالمنظومة الثلاثية العناصر الكبرى الثلاثة للدولة وهي: العقيدة، والأرض "يثرب" والبشر "الأنصار والمهاجرون والقيادة العليا الحكيمة الممثلة في شخص النبي عليه الصلاة والسلام" [ص: 98].وفي أكثر من أربعين صفحة يحلل المؤلف ما مرت به الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة، والتي أرسيت أولى دعائمها ببناء المسجد [ص: 105]، وتدعمت بالمآخاة بين

المهاجرين والأنصار [ص: 107]، ثم تأتي "الصحيفة التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم كدستور للمدينة كلها، كأساس ثالث لإرساء دعائم الدولة الجديدة، أو كركن ثالث من أركان العقد الاجتماعي الأول في التاريخ الحضاري" [ص: 109]. كما تحدث المؤلف عن السياسة الخارجية لدولة الإسلام في المدينة، والتي تجلت حينئذ في السرايا التي كان يرسلها النبي صلى الله عليه وسلم بغرض حماية الدولة خارجيا، إضافة إلى الغزوات والمعارك التي دارت بين المسلمين وبين أعدائهم وعلى رأسهم مشركو قريش. ويخص المؤلف معركة بدر بتحليل خاص امتد على ثمان صفحات، معتبرا أن هذه المعركة وما حصل فيها وما أحاط بالمسلمين خلالها من رعاية ربانية "فتحت باب المسيرة الجديدة في التاريخ الإسلامي، مسيرة الدولة الإسلامية الثابتة الأركان، القوية الدعائم، التي تحارب وتنتصر، وتذل الأعداء" [ص: 126].وبعد أن يستفيض المؤلف في تحليل الأحداث التي تلت معركة بدر إلى غزوة الخندق، ينتهي إلى أن هذه الأخيرة مثلت قمة مرحلة الدولة، حيث "أخرجت الجزيرة العربية ـ بكل أطراف الوجود فيها ـ كل ما ادخرت من حقد، وكل ما أضمرته نحو القوة الإسلامية الناشئة من نوايا الهلاك والتدمير والقضاء الشامل عليها" [ص: 136]، وهنا يبرز المؤلف الدور الذي قام به نعيم بن مسعود رضي الله عنه، معتبرا ما فعله "شمعة توهجت فجأة، وكان من قدر الله أن أخرج المسلمين على يدها من بين هذا الظلام الجاهلي المطبق"، حيث نجح هذا الرجل ـ الذي أسلم وقوى الكفر مطبقة على المسلمين من كل جانب ـ "في الإيقاع بين قريش واليهود، وعلمنا بنجاحه كيف أن الشمعة الصغيرة قد تبدد ظلام ليل كلوح" [ص: 137].وينتهي

المؤلف إلى استخلاص العبرة من معركة الخندق، ليشير إلى أن ما يعانيه المسلمون في عصرنا مما يشبه في جوهره ما عاناه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته عندما أطبق عليهم أعداء الله من كل جانب، فيقول: "الجدير بالإشارة والتأكيد أن أعداء الإسلام الذين واجهوا المسلمين في الخندق، هم أنفسهم القوالب الفكرية التي يواجهها المسلمون اليوم، إنهم الأحزاب ذاتها؛ اليهود.. والوثنيون الماديون الشيوعيون المتضافرون مع اليهودية.. والمنافقون المتظاهرون بالإسلام، من ذيول التبشير، ورؤساء العشائر القومية، وملوك الطوائف المنتشرين في ساحة العالم الإسلامي الفسيح" [ص: 138-139].

إن معركة الخندق، في نظرالمؤلف رحمه الله، بقدر ما مثلت "قمة مرحلة الدولة النبوية"، مثلت كذلك "ميلاد حضارة"، وهذا ما فصل المؤلف القول فيه في الفصل السادس من الكتاب ، والذي جاء تحت عنوان "محمد صلى الله عليه وسلم يصنع الحضارة"، حيث بدأ هذا الفصل بالتأكيد على أن "النبي عليه الصلاة والسلام جاء يطرح مفهوما فذا للحضارة.. جاء يجمع ـ في ظلال النبوة ـ على مستوى السلوك وعلى مستوى التقعيد معنى متكاملا للحضارة.. الحضارة ـ في ظلال النبوة ـ مستوى إنساني ينتظم كل الجزئيات الفكرية والسلوكية.. مستوى إنساني ممتد في الزمن، يربط بين الدنيا المحدودة والآخرة اللانهائية.. مستوى إنساني ممتد في المكان، يكرم الإنسان ويحدد حقوقه أنى كان، دون تفرقة على أساس لون أو جنس.. مستوى إنساني ممتد في الوقائع، فلا جزئية فوق القانون، ولا جزئية لا مكان لها في القانون.. مستوى إنساني ممتد في المجتمع والفرد، والرجل والمرأة، والقوي والضعيف، والجسم والروح، والمادي واللامادي، والطبيعة وما وراء الطبيعة... والعجيب

الذي يمثل أبرز ظاهرة فردية في التاريخ؛ أن هذا النبي الكريم قد مثل ـ بحياته ـ كل أطوار الحضارة في مراحل رقيها، حتى ليخيل للدارس أن حياته عليه الصلاة والسلام حضارة مستقلة، تتجلى كشعاع وهاج لكل الحضارات الباحثة عن المستوى الإنساني السامق الجدير بالإنسانية المتحضرة" [ص: 143-144]. وقد استفاض المؤلف رحمه الله في ذكر مظاهر الحضارة الراقية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته.ويبرر المؤلف اعتباره معركة الخندق مولد الحضارة الإسلامية في ظلال النبوة، بقوله: "من الخندق دائما تولد الحضارات المبدعة.. ولم توجد حضارة ولدت قبل معاناة الحمل والوضع والتعرض لمبضع الجراح. وكانت الفترة التي بدأت بالهجرة وانتهت بالخندق، هي الفترة التي تعرض المسلمون فيها لآلام الحمل كأشد ما تكون المعاناة"، مستشهدا ببعض المواقف النبوية التي حدثت أثناء الحصار، والتي اعتبرها "استشرافات مستقبلية للحضارة الجديدة الممتدة الواسعة" [ص: 146].ويمضي المؤلف مبرزا البعد الحضاري فيما تلا معركة الخندق من أحداث حتى وفاته عليه الصلاة والسلام، ومنتهيا إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم مثل نموذج حضارة راقية، وفي أربع صفحات أبرز المؤلف رحمه الله مظاهر هذا النموذج في شخصية الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، مما لا يمكن تلخيصه في هذه العجالة [ص: 171-174].ليأتي بعد ذلك الفصل الأخير بعنوان "موكب الحضارة في ظلال النبي صلى الله عليه وسلم"، وهو رغم كونه موجزا جدا، مقارنة بالفصول السابقة عليه، إلا أنه مثل خلاصة وافية لما أراد المؤلف أن يبرزه من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو البعد أو المظهر الحضاري، وهذا الفصل لإيجازه وتماسكه لا يمكن تلخيصه ولا غنى عن قراءته كما هو في مصدره، ويكفي أن نقول إنه تحليل لأبعاد الزمن

الثلاثة وهي الماضي والحضر والمستقبل في ظلال حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتعاليمه ومعجزاته [ص: 175-181].وفيما يشبه الخاتمة، يبرز المؤلف "التأثير الفكري للسيرة النبوية"، ويلخص ذلك بقوله: "لم يعرف نبي ولا عظيم حظي بعناية الفكر البشري، سواء من أتباعه وأعدائه، مثل العناية التي حظي بها محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.. بحيث أنك لا ترى كاتبا على امتداد العالم الإسلامي نال احترام التاريخ وتقدير القراء إلا إذا كانت له نظرات جديدة لسيرته عليه الصلاة والسلام؛ كأن حياته الزكية نهر من معاني العظمة دائم التدفق" [ص: 185]. ويسرد المؤلف أسماء عشرات من المفكرين والباحثين من مسلمين عرب وغير عرب، ومن يهود ونصارى ومستشرقين ومستغربين، كتبوا في السيرة النبوية أو بعض جوانبها، كل حسب مقصده من التأليف ومنهجه في البحث والدراسة.كما يشير المؤلف رحمه الله إلى مظهر آخر من مظاهر التأثير الحضاري للنبي عليه الصلاة والسلام، دون أن يفصل فيه، فيقول: "لا نتحدث هنا عن أثر تعليماته عليه الصلاة والسلم في أخلاق الأوروبيين وفي مسيرة الحضارة الإنسانية بعامة.. فكل ما ينسب لتأثير الحضارة الإسلامية في الحضارات البشرية، في مجالات التشريع والأخلاق خاصة، إنما مرجعه أيضا إلى تأثيره عليه الصلاة والسلام [ص: 189].

شخصية الرسول في ضوء المقاييس الإنسانية:

إضافة إلى هذا الكتاب المبكر في المسيرة الفكرية للأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس رحمه الله، كتب بعد ذلك، كتيبا آخر موجزا حول جانب من جوانب السيرة، ذلك هو شخصية النبي عليه الصلاة والسلام، حيث تناول هذه الشخصية بالدراسة والتحليل في ضوء المقاييس الإنسانية، وعنوان

الكتيب هو " شخصية الرسول في ضوء المقاييس الإنسانية"، والذي نشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض بالمملكة العربية السعودية سنة 1413 هـ، 1992م، في ثمانين صفحة من الحجم المتوسط.

ينطلق المؤلف من تحديد المقياس المتفق عليه في الحكم على الشخصيات المتميزة العظيمة في تاريخ الإنسانية، وهو المقياس الذي يعتمد ركنين جوهريين في الشخصية النموذجية؛ أولهما الوضوح والواقعية، وثانيهما التأثير الإنساني العام الممتد عبر القرون وعبر أماكن مختلفة وأجناس مختلفين، وهذا التأثير يُعتمد في تحديده مستويان: الكمي "أي مقدار التأثير"، والكيفي "أي ينوع التأثير وجوهره" [ص:13].وينتقل بعد ذلك إلى تطبيق هذا المقياس على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقرر فيما يتعلق بالركن الأول؛ أن "الخاصة العظمى في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وشخصيته هي الوضوح الكبير، فكأن الذين درسوا حياته دراسة جيدة وعرفوه من خلال ما ورد عنه في القرآن ـ الذي هو المصدر الأول لسيرته ـ وما ورد في كتب السنة عن شمائله وما ورد في كتب السيرة والتاريخ، لكأنهم يعيشون معه، ويحسون بحركته اليومية، وغدواته في دروب مكة والمدينة.. ويمكن للباحث أن يعرف مدى الوضوح في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قارنها بأية شخصية أخرى في التاريخ، بل إذا هو قارنها بشخصية أي نبي آخر" [ص: 17-18].وعبر صفحات عديدة يركز المؤلف على الجانب الأخلاقي في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، مؤكدا أن "النسيج الأخلاقي لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الآية البشرية العظمى في تاريخ هذا

العالم" [ص: 28]، "إنه نسيج متكامل، وإنه نظام أخلاقي متعانق الخيوط، فليس ثمة خيط نشاز، أو خيط من فصيلة مختلفة، وإنما هي الحقيقة الأخلاقية الواحدة التي يتعامل بها الرسول مع الحياة والأحياء.. إن هذه الوحدة الأخلاقية التي تفرد بها الرسول صلى الله عليه وسلم تمثل جوهر رسالته إلى العالم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وهي تفسر - في الوقت نفسه - معنى أنه رحمة ونور لهذا العالم، فالعالم الإنساني لا نور له ولا رحمة فيه إذا هو تجرد عن الأخلاق، وإن أزمات الحضارات - ما اندثر منها وما بقي - إنما يعود إلى انحلال الأخلاق" [ص: 31].ويمضي المؤلف في تحليل التميز الأخلاقي الفريد للرسول صلى الله عليه وسلم، مركزا خاصة على ثبات الأخلاق في شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم رغم تعدد الظروف التي أحاطت به والتحديات التي واجهته، وعدم تغير هذه الأخلاق بتغير أصناف الناس الذين تعامل معهم أو اختلط بهم.وفيما يتعلق بالركن الثاني في مقياس تقدير الحكم على الشخصية، وهو مدى تأثير هذه الشخصية في الحياة ومدى عمق هذا التأثير وامتداده، يبرز المؤلف التأثير العميق لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حياة المسلمين، ذلك التأثير العجيب الذي ظهر في حياة الصحابة الذين تتلمذوا على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا سيرته واطلعوا على مختلف جوانب حياته، وفي ذلك يقول: "إن العلاقة بين محمد الرسول عليه الصلاة والسلام وبين المسلمين علاقة من طراز فريد في التاريخ... إنها علاقة أخلاقية أساسها: "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك"؛ أي أنها علاقة رحمة وحب، وليس فيها شيء من أشياء الدنيا، فإنه عليه الصلاة والسلام ما كان لديه شيء

يغريهم به، بل إنه كبدهم الأموال والدماء والأولاد والزوجات" [ص: 61].ويسرد المؤلف عدة شهادات لكتاب غربيين يعترفون فيها بالتأثير العجيب للرسول صلى الله عليه وسلم في حياة أصحابه وفي حيِاة المسلمين عبر القرون، لينتهي في الأخير إلى أن "محمدا الرسول عليه الصلاة والسلام صاحب شخصية نموذجية عظمى في التاريخ، وأن هذه الشخصية لم تكن ـ وحدها ـ في قمة السمو الإنساني لاعتبارات عاطفية إسلامية، أو من وجهة نظر إسلامية فحسب، وإنما هي كذلك بالمقاييس العامة للشخصية؛ سواء في وضوحها التاريخي الدقيق، أم في تأثيرها الإنساني العام الممتد في الزمان والمكان، وسواء في الكم التأثيري الهائل، أم في الكيف النادر الأتباع الذين لم يفز بمثلهم اي عظيم في التاريخ" [ص: 71].

مقالات في جوانب من السيرة برؤية حضارية:

لم يتوقف اهتمام الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس رحمه الله بالسيرة النبوية الشريفة عند الكتابين المذكورين، بل ظل هذا الاهتمام قائما ومستمرا طيلة حياته الفكرية، تجلى ذلك في البحوث والمقالات التي كتبها في مناسبات مختلفة وكان محور كل منها موضوع من موضوعات السيرة النبوية. وقد ظهر في هذه البحوث والمقالات بوضوح توجهه الحضاري في دراسة السيرة وتحليل أحداثها.وبين يدي ـ وأنا أخط هذا المقال ـ ست مقالات عن بعض جوانب السيرة الشريفة، دبجها يراع الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس رحمه الله، ونشرها في بعض الجرائد والمجلات. مقالان منها عن الهجرة، واثنان آخران عن حروب الرسول صلى الله عليه وسلم، والخامس عن العدل

والرحمة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، والسادس عن "المسجد الأقصى ودرس السيرة النبوية". والغالب أن هناك مقالات أخرى لم يتح لي الاطلاع عليها.

في مقال بعنوان "خاتم المرسلين إمام العدل والرحمة لكل الناس"، كتبه بمناسبة المولد النبوي الشريف، يؤكد عبد الحليم عويس أن "آفاق الرسول الإنسانية آفاق فسيحة تعطينا نموذجًا كاملاً لدورة من الحياة، تتعدد فيها المواقف والأبعاد، ولا نكاد نتوجه إليها بموقف من المواقف أو مشكلة من المشكلات إلا ونجدها تعطينا الحلول المثلى التى تليق بإنسانية الإنسان حين يسمو إلى أقصى القمة التى يمكن أن تصعد إليها النفس الإنسانية".ويبرز الأثر العظيم الذي تحقق ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته التي أخرج بها الناس من الظلمات إلى النور، فيقول: "لقد كان ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم تحولاً فى التاريخ والطبيعة؛ ففى الجانب الإنسانى أصبح الإنسان سيدًا للطبيعة لا عابداً لها، وأصبحت الطبيعة مسخرة للإنسان يدرسها ويستخدمها ويسخرها لخدمة الإنسان فتحول المعبود إلى مسخر".وفي مقال بعنوان "الهجرة بين حضارتنا وحضارتهم"، وانطلاقا من رؤيته الحضارية التي تميز بها، يبرز عبد الحيم عويس البعد الحضاري في الهجرة، معتبرا أنها "كانت حدثا فاصلا من أحداث التاريخ الكبرى، وكانت تحولاً فى المسار الحضارى العربى والإسلامى والإنسانى بكل معانى التحول الحضارى.. وكانت أيضا المنطلق الذى فتح الله به تاريخ الدعوة على مصراعيه، وبأشكاله المختلفة.. من بناء دولة المدينة على أسس المسجد

والمؤاخاة والدستور (الصحيفة)... إلى العمل على نشر (الدعوة الإسلامية العالمية)، بإرسال الكتب والرسل إلى ملوك العالم وحكامه من هذه الدولة المدينة الصغيرة القليلة العدد والعدة، والتى يحيط بها الأعداء من قريش واليهود والموالين لهم إحاطة السوار بالمعصم".ويقارن المؤلف بين هجرة الرسول والمسلمين وبين هجرة غير المسلمين، من حيث ما يترتب على كل منهما من خير أو شر على أهل البلاد التي تتم الهجرة إليها، فيقرر بالشواهد والأدلة أن "الهجرات الأمريكية والأوروبية الاحتلالية والاستيطانية تقوم على الإبادة الجماعية واستعمال أبشع الوسائل... ويمكن القول إن هجراتهم هجرات وحوش همجية متبربرة لا كائنات متحضرة"، "وعلى الضدّ تماماً من هذه الصورة اللاإنسانية للهجرة الأوروبية الاستيطانية إلى أمريكا.. تأتى صورة هجرة المسلمين إلى المدينة (يثرب) وإلى كل بلاد العالم التى فتحوها واستوطنوا فيها... لقد عامل المسلمون الوافدون أبناء البلاد التى فتحوها بقاعدة (الأخوة الإسلامية) لمن أسلم وبقاعدة (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) لمن بقى على دينه.. وقد جاهد المسلمون الوافدون فى تعليم أبناء البلاد وتحضيرهم وإشراكهم فى الوظائف الصغيرة والكبيرة لدرجة أن بعض الذين لم يسلموا كادوا ينفردون ببعض الحرف كالطب والصيدلة والشؤون المالية والتنظيمية.. ولقد علموا أبناء البلاد المفتوحة كيف ينظمون علاقتهم بالله وبالناس.. وكيف يحتكمون للقضاء العادل، فى ظل (المقاصد الشرعية) الكفيلة بتحقيق الأمن والحماية والكفاية لكل الناس".ويتساءل المؤلف رحمه الله عن سبب هذا الاختلاف في صورة التعامل مع الموفد عليهم بين المسلمين

وغيرهم، ويربط الإجابة بمنطلقات كل حضارة وما تقوم عليه من أسس ومبادئ.

"ففى الحالة الأمريكية والأوروبية والصهيونية الاستيطانية؛ كان الدين هو التبرير للوحشية البربرية والصليبية والإقطاعية والصهيونية، لأن الدين كان شريكا ـ برجاله ـ فى صفقة إبادة الآخر.. وهذا يفرض عليه أن يقدم نفسه خادماً لتبرير كل الشرور بدعوى أنها لصالح الربّ، ولنشر الصليب وتحقيق سيادته أو عودة المسيح.. وكل عمليات الإبادة المباركة من البابوية والكنيسة ترجع إلى هذا الأساس.. أما في حالة الهجرات الإسلامية.. فالدين حاكم وضابط، وموجه للحق والخير والعدل والتراحم الإنسانى".وفي مقال بعنوان "الطبيعة الأخلاقية في حروب الرسول صلى الله عليه وسلم"، وبعد أن يذكر ما تعرض له النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته من ويلات وما صُبَّ عليهم من أذى وعذاب وما تكبدوا من شهداء في حروبهم مع المشركين، ينتهي إلى إبراز موقف النبي صلى الله عليه وسلم من قريش يوم فتح مكة، ويعلق على عفوه عنهم وتجاوزه عن ظلمهم الذي طاله وصحابته على مدى أكثر من عقدين من الزمن، معتبرا ذلك من "سمو محمد عليه الصلاة والسلام في حربه.. سموه في عفوه.. سموه في إكرام من ظلموه وفي تأليف قلوبهم. فإن أكبر ما يهمه كنبي أعظم أن يدخل إلى قلوبهم، إنه لا يريد الطاعة كملِك وإنما يريد الطاعة مع الحبّ كنبيّ بعثه الله رحمة للعالمين، وقد تحقق له ما أراد".وهكذا يتتبع عبد الحليم عويس مظاهر السمو الأخلاقي في سيرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، لينفذ منها إلى إبراز هذا السمو في الحضارة السامقة

التي بناها المسلمون وعم خيرها الناس جميعا. هذه الحضارة التي توقفت عند مرحلة معينة، عندما نكص أحفاد صانعيها على أعقابهم وتركوا واجبهم وانغمسوا في أهواء الدنيا وشهواتها، حتى صاروا لقمة سائغة يلوكها الأعداء ويعبثون بها كيفما شاؤوا.ومع أن وطأة الواقع الأليم قد تدعو إلى اليأس والإحباط، وتجعل المسلمين ييأسون من أن تقوم لهم قائمة في المستقبل، إلا أن عبد الحليم عويس ينطلق مرة أخرى من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، ويؤكد ـ في مقال بعنوان "المسجد الأقصى ودرس السيرة النبوية" ـ أن الرسول صلى الله عليه وسلم "لم تحكمه موازين القوة المادية، ولم يدخل معركة على أساس حسابات العدد والعدة.. بينما كان يحكم مدينة صغيرة ويعيش فيها ومن معه يترقبون غدر القبائل الوثنية وأحلاف قريش زعيمة الشرك في الجزيرة. كان ـ مع كل هذا الواقع ـ يخاطب ملوك العالم وقياصرته يدعوهم إلى الإسلام، ويحمِّلهم أوزار من معهم إذا لم يفتحوا الأبواب لوصول أشعة الإيمان ليعرف الناس رسالة الله الخاتمة المهيمنة على كل الرسالات، والمطهّرة لها من أوشاب الوثنيات والعادات.. وعندها، وبعد أن يعرف الناس حقائق الدين الجديد الخاتم المهيمن.. وبعد أن يتبين الرشد من الغي.. {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: 256]، ولكن ليحيا من حيّ عن بينة، وليهلك من هلك عن بيّنة﴾.وهذا ما يجب أن يفقهه المسلمون اليوم ويقيموا عليه حياتهم؛ أن يرتبطوا بالله عز وجل ويجعلوا أكبر همهم أن يقوموا بواجبهم في التمكين لدينهم بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن واتخاذ أسباب القوة، مستهدفين هداية الناس وإيصال الحق إليهم، معتقدين أن الله عز وجل سينصرهم ويدافع عنهم ويمكن لهم ويعينهم على عدوهم.وينتهي عبد الحليم عويس إلى توجيه نداء إلى المسلمين مستنهضا هممهم ومستثيرا نخوتهم للدفاع عن الأقصى في وجه محاولات

تهويده وهدمه، مما يمكن اعتباره وصية ختامية أسداها لقومه وهو في أخريات ايامه.

يقول رحمه الله:

"يا أحفاد محمد.. يا حراس العقيدة وحملة مشعل الهداية.. ماذا تقولون لرسولكم الذي ترك لديكم أفضل دين، وقدّم لكم أفضل سيرة، ولم يخضع لأية معادلات تزرع الوهن واليأس، وتبرر الاستسلام وقبول الذل والهوان، وتفرط في أولى القبلتين وثالث الحرمين، وتعيش على خداع نفسها بالمساومات وقبول الوعود الكذوبة من حفدة بطرس الناسك وموسى السامري عابد العجل؟!.. أما موسى وهارون ومحمد فهم أنبياء الإسلام، وهم أبرياء من كل مزوِّر أو خائن أو عابد للمال والحياة، غير آبهٍ بلقاء الله، يوم يحاسب المرء على ما قدمت يداه.. اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد"..رحم الله شيخنا الجليل وحبيبنا الغالي الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس، وأورثه الفردوس الأعلى من الجنة، مع النبيين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، وجمعنا بهم جميعا في مستقر رحمته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الهوامش

1- شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في ضوء المقاييس الإنسانية، تأليف: الدكتور عبد الحليم عويس، نشر: إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1413 هـ 1992 م.

2-في ظلال الرسول، تأليف: الدكتور عبد الحليم عويس، نشر: دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى، 1980 م.

3- الهجرة بين حضارتنا وحضارتهم، مقال للدكتور عبد الحليم عويس، منشور في مجلة التبيان الصادرة عن الجمعية الشرعية، القاهرة، العدد 54، الجمعة 09 يناير 2009. وعلى الصفحة الإلكترونية:
http://alshareyah.com/index.php?option=com_content&task=view&id=1600

4- الهجرة من المدينة إلى العالم كله، مقال للدكتور عبد الحليم عويس، منشور في مجلة التبيان، العدد 78، الأحد 05 ديسمبر 2010. وعلى الصفحة الإلكترونية:
http://alshareyah.com/index.php?option=com_content&task=view&id=3457

5- خاتم المرسلين إمام العدل والرحمة لكل الناس، مقال للدكتور عبد الحليم عويس، منشور في مجلة التبيان، العدد 80، السبت 28 مايو 2011، وعلى الصفحة الإلكترونية:
http://alshareyah.com/index.php?option=com_content&task=view&id=445

6- إنسانية الرسول في حروبه، مقال للدكتور عبد الحليم عويس، منشور على موقع قصة الإسلام: http://islamstory.com/ar/ انسانية-الرسول-في-حروبه

7- الطبيعة الأخلاقية في حروب الرسول صلى الله عليه وسلم، مقال للدكتور عبد الحليم عويس منشور في مجلة حراء التركية، العدد: 3، أبريل -يونيو 2006، وعلى الصفحة الإلكترونية:
http://www.hiramagazine.com/archives/title/55

8- المسجد الأقصى ودرس السيرة النبوية، مقال للدكتور عبد الحليم عويس، منشور على موقع قصة الإسلام، في الصفحة الإلكترونية:
http://islamstory.com/ar/ المسجد_الأقصى_ودرس_السيرة_النبوية_دكتور_عبدالحليم_عويس

مجلــــــة الحضارة الإسلاميـــــــة

مجلة علمية محكمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية/جامعة وهران- الجزائر



العدد التاسع عشر -ذو الحجة 1434هـ/ أكتوبر 2013م

ردمد ISSN 1112-5357

منشورات

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

طباعة

مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر-

91شارع السكة الحديدية/ سيدي بلعباس/ الجزائر

هاتف وفاكس: 07 66 54 048 / 96040 17 41

محمول 0773394265



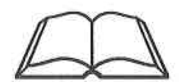
﴿وتلك الأيام نداولها بين
الناس وليعلم الله الذين آمنوا
ويتخذ منكم شهداء
والله لا يحب الظالمين﴾

آل عمــران /140

مجلـــــة الحضارة الإسلاميـــــة

مجلة علمية محكمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية/جامعة وهران – الجزائر

العدد التاسع عشر –ذو الحجة 1434هـ/أكتوبر 2013م



مجلــــة الحضارة الإسلاميــــــة

مجلة علمية محكمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية/جامعة وهران– الجزائر

شروط النشر بالمجلة

ترحب المجلة بمشاركة الباحثين المتخصصين وتقبل للنشر الدراسات والبحوث المستوفية للشروط والأكاديمية التالية :

1 -أن يكون البحث مبتكرا اصيلا، ولم يسبق نشره، وأن لا يكون مستلا من مذكرة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.

2-أن يتبع الباحث الأصول العلمية المتعارف عليها، وبخاصة فيما يتعلق بتوثيق المصادر، مع إلحاق كشف المصادر والمراجع في آخر البحث.

3-تقدم الأعمال في قرص مضغوط، ونسخة مطبوعة على وجه واحد.

4- يتراوح عدد صفحات البحث ما بين 15 إلى 20 صفحة مكتوبة بخط – traditionnal arabic مقاس 14 وتباعد فردي.

5- تخضع كل البحوث المقدمة للنشر في المجلة للتحكيم العلمي.

6-لا ترد الدراسات والبحوث إلى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

7-الدراسات والبحوث المنشورة في المجلة لا تعبر إلا عن رأي اصحابها.

عنوان المراسلة : ترسل البحوث والدراسات باسم:
د.العربي قلايلية
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
جامعة وهران– السانيا– الجمهورية الجزائرية
00213 : فاكس(0)41-348531
00213 : هاتف(0)41-345580
البريد الالكتروني : majalethadhara@gmail.com

مجلــــة الحضارة الإسلاميــــــة

مجلة علمية محكمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية/جامعة وهران– الجزائر

العدد التاسع عشر –ذو الحجة 1434هـ/أكتوبر 2013م

المحتويات

علوم إسلامية

تاريخ وحضارة

دراسات

